مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي
ISSN 1112-9255
المجلد7،العدد 2 – جوان 2020

العنف لدى الشباب الجزائري: حصيلة إفرازات نفسية ومحيط مضطرب

Violence among Algerian Youth: An outcome of Psychological factors and unstable environment.

د. محمد أمين شياب ، جامعة أم البواقي، الجزائر.
chiebmohamedamine@yahoo.fr

تاريخ التسليم:(2019/09/30)، تاريخ التقييم:(2019/12/20)،تاريخ القبول:(2020/01/14)

ملخص :

يشكل العنف ظاهرة عالمية نشأت عن اجتماع جملة من العناصر والأسباب، وتضافرها على النحو الذي لا يمكن إرجاع هذه الظاهرة إلى سبب أو عامل واحد دون سواه، ولا يمكن فهم هذه الظاهرة إلا ضمن شبكة العوامل والأسباب التي أفضت إلى بروزها وأدت إلى ظهورها، خاصة عند فئة الشباب على اعتبار هذه الفئة العمرية يشوبها الكثير من الصراعات والأزمات النفسية، التي غالبا ما تتبلور أساسا في استيقاظ الدوافع العدوانية في هذه المرحلة، وتتزايد مظاهر ممارسة العنف ويتوالى انتشارها في مختلف مناطق العالم دون أي فارق بين الأنظمة السياسية أو المنطلقات الإيديولوجية، وكذا المعطيات الحضارية وخاصة مع بروز ظاهرة عنف الشباب كظاهرة عالمية وبأبعاد نفسية وظروف اجتماعية مختلفة. ومن هنا نحاول من خلال هذا المقال الإجابة عن التساؤل التالي: ما هي أسباب ممارسة الشباب الجزائري للعنف؟. ومناقشة أهم العوامل النفسية والاجتماعية التي يشكل تضافرها إطار تستند إليه هذه المجموعة الاجتماعية – الشباب– في تبرير سلوك العنف.

الكلمات المفتاحية: العنف، الشباب،العوامل النفسية والاجتماعية.

Abstract :

The global phenomenon of violence has its origins in the combination of a set of factors, The phenomenon is hence too complex that we cannot trace it to a single reason, We can, however, understand violence through analyzing the set of factors that contribute to it especially among the youth .This age category is shaped by a lot of psychological crisis and conflicts that often lead to the awakening of aggressive tendencies. The manifestation of the practice of violence keeps increasing worldwide regardless the nature of political system, the ideological backgrounds or the civilization data.

This paper is an attempt to answer the question: What are the causes behind violence among the Algerian youth?.

Keywords: violence, youth, psychosocial factors.

* المؤلف المراسل: د. محمد أمين شياب ،الإيميل: chiebmohamedamine@yahoo.fr

مقدمة:

إن ظاهرة العنف ظاهرة تهدد المجتمعات الآمنة وتسلبها استقرارها وتبعث فيها القلق، فتؤثر في أجوائها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فضلا عن ذلك فظاهرة العنف تكون أكثر خطورة حين ترتبط بفئة الشباب أين تكون هذه الأخيرة أكثر من غيرها اندفاعا وتأزما.

ولعل أبرز ما يمكن ملاحظته في الآونة الأخيرة هو الارتفاع الرهيب والمقلق لسلوكات العنف لدى الشباب الجزائري هذه السلوكات التي قد يكون مردها إلى عوامل من بينها عدم القدرة على إشباع الحاجات النفسية والاجتماعية.

وذلك ما جعلنا نحاول ولو بالغرض النظري الذي نود أن يجد معالجة في الواقع العملي، حول تفسير أسباب العنف لدى الشباب الجزائري منطلقين من مقولة مفادها: "إن العنف في المجتمع الجزائري المعاصر نابع من ترسبات تاريخية وأخلاقية واجتماعية" وضمن هذا الطرح فإن المجتمع الجزائري ليس بمنأى عن استفحال هذه الظاهرة المستعصية التي برزت بشكل رهيب خاصة في ظل التحولات الإقليمية وبؤر التوتر التي تشهدها الكثير من البلدان العربية في الوقت الراهن.

ومن هنا نقدم هذا المقال لمحاولة الإجابة عن التساؤل التالي: ما هي أسباب ممارسة الشباب الجزائري للعنف؟ وما هي أهم العوامل النفسية والاجتماعية التي تشكل مبررا لدى الشباب الجزائري للقيام بسلوكات عنفوية؟.

وقصد الإجابة على هذه التساؤلات نتناول خلال هذا المقال مجموعة من العناصر :

- المقاربة المفاهيمية للعنف والشباب الجزائري.
- مداخل تفسير سلوك العنف (نفسيا، اجتماعيا، قانونيا).
- النظريات المفسرة لسلوك العنف لدى الشباب الجزائري.
- العنف لدى الشباب الجزائري حصيلة إفرازات نفسية ومحيط مضطرب.

2. المقاربة المفاهيمية للعنف والشباب الجزائري.

1.2 ماهية العنف:

أ- **لغة:** كلمة العنفُ بالضم ضد الرفق، تقول منه عنفُ عليه بالضم عنف به أيضا، و التعنيف : التعبير واللوم(الرازي،1981، ص243)

ب- **اصطلاحا:** تتفق جميع التعاريف حول مفهوم العنف على أنه خاصية أو ظاهرة أو فعل عنيف يتعلق الأمر باستخدام غير مشروع أو غير قانوني للقوة. (سموك،2006، ص35)

كما يعرف العنف سوسيولوجيا على أنّه: "الإيذاء باليد أو اللسان، بالفعل أو بالكلمة في الحقل التصادمي مع الآخر وعملية الإيذاء هذه تارة تكون فردية وتارة جماعية" (بن دريدي،2007، ص3)

ولكن ما يهمنا في هذا المقال هو العنف في الواقع الاجتماعي الذي يكون إما استخداما فعليا للقوة أو تهديدا باستخدامها، كما أنه يمكن أن يكون نتيجة مجموعة من التناقضات والاختلافات الكامنة في البناء الاجتماعي.

وحتى نصف سلوك معين بأنه عنيف يجب توفر شرطين:

- **الضرر:** هو النتيجة المترتبة والمتوقعة من الفعل الغير واعي، ويعد الضرر السمة البارزة للسلوك العدواني.
- **توافر القصد:** يعني القصد تبين النية لعمل ما أو الاصفرار على فعل شيء معين أي أن الإنسان يكون لديه الإرادة الكاملة التي ترتبط وتقترن بالفعل الذي يقوم أو يحاول القيام به فيما بعد. (يحي، 2000، ص 185)

وللإحاطة بمفهوم العنف نحاول أن نورد بعض المفاهيم القريبة الاستخدام منه:

- **العدوان:** يقصد بالعدوان في معناه الواسع الاعتداء وإيذاء الآخرين أو إيذاء النفس وإلحاق الأذى والضرر بالآخرين في دواتهم أو حتى في ممتلكاتهم.

إذن العدوان هو سلوك هدفه إلحاق الضرر بالآخرين ولا يأتي هذا الهدف إلا عن طريق العنف الذي يعد الطريق المباشر والوسيلة التي تبرز نزعات الغضب والعدوان إلى الوجود.

إن العنف هو بمثابة نهاية المطاف للسلوك العدواني لأنه أحد الوسائل التي تعبر عن النزعات والميول العدوانية لدى بعض الأفراد(الشهري،2003، ص40)

- **الغضب:** انفعال سيء يصاحبه رغبة في الاعتداء و الإيذاء والتدمير وإنزال الضرر بالآخرين أو بالذات (فرج وآخرون، د.ت،ص571) والعنف تعبير عن مظهر من مظاهر الغضب حيث يتم التعبير عن الغضب في صور العنف المختلفة .
- **القوة:** تعني في مفهومها العام والشامل قدرة الفرد على التحكم وفرض السيطرة على الآخرين لتحقيق هدف معين إذن فالقوة عنصر أساسي للعنف لان العنف لا يتم في معظم الأحيان بتنفيذ أشكاله وخاصة الجسمي البدني إلا عن طريق توفر القوة.
- **الإيذاء:** سوء التصرف في السلوك مع الآخرين في محاولة الاعتداء عليهم لإلحاق الضرر بهم ويعد الإيذاء هدف للعنف لان الشخص العنيف يهدف من خلال فعله لإيذاء و إلحاق الضرر بالآخرين.
- **التعصب:** هو التزام الفرد بفكرة معينة وتحيزه لهذه الفكرة والرأي، أو تحيزه لجماعة معينة والتفكير المخالف والسيئ عن الآخرين، إذن فالعنف مظهر للرغبة التي ترفض الحلول السوية والوسط التي يتطلبها الواقع والتعصب هو الجذر الذي يغذي حالات العنف لان المتعصب يرفض حالات

الاختلافات الطبيعية ويعد التعصب والعنف وجهان لعملة واحدة إذ أن التعصب هو الوجه الثقافي والفكري أما العنف فهو الوجه الاجتماعي والسلوكي (عياش،2004، ص 106)

ومن خلال هذه النظرة حول مفهوم العنف والمفاهيم المرتبطة به، وحتى نتمكن من اشتقاق مفهوم أكثر تحديدا للعنف، فإنه من الناحية الإجرائية نعبر عليه بكونه: كل سلوك –فعل أو كلام– يلحق الأذى والضرر بالآخرين، وقد يكون فرديا أو جماعيا، وذلك نتيجة لعوامل نفسية واجتماعية يعاني منها القائم بسلوك العنف.

2- ماهية الشباب الجزائري:

أ- **لغة:** الشباب لغة كما جاء في لسان العرب لابن منظور وغيره من المعاجم العربية تعني الفتوة، والفتاء بمعنى الحيوية والقوة والحداثة(ابن منظور، 1985، ص2180)

ب- **اصطلاحا:** يشير مفهوم الشباب من خلال المقاربة النفسية إلى فئة تتمتع بالنشاط والقوة وكذا الفاعلية في بناء المجتمع المعاصر، ويحدد علماء النفس مفهوم الشباب أنه فئة عمرية تحدث تغيرا كميا وكيفيا في نمو شخصية الفرد تتخللها فترات من القلق والإحباط التي تؤدي بدورها إلى استيقاظ الدوافع العدوانية (لزرق والهلالي،2009، ص9)

أما من الناحية السوسيولوجية فقد بدأ الاشتغال بممفهوم الشباب في خمسينيات القرن الماضي، بداية بأعمال دوركايم الذي اعتبر الشباب ليس مجموعة ثانوية داخل المجتمع، في حين تجاهل واقع الشباب وهو ما يفسر قلة الدراسات المبكرة حول الشباب في المجتمع الفرنسي. (Durkheim, 1985, p43)

في حين يعبّر عالم الاجتماع الأمريكي "تالكوت بارسونز" على هذه الفئة العمرية– الشباب– من خلال الخصائص البنائية التي تميز سلوكات هذه الفئة، وأنها تتميز بعدم اليقين والاستقرار وحدوث اضطرابات مفاجئة على مستوى السلوك لذلك نجدها تتبنى اتجاه مختلف نسبيا للأحداث، ويخلص لتعريف الشباب بأنه:" أسلوب حياة ينتج عن التوترات الحاصلة لدى البالغين". (Parsons, 1955, p48)

أما " Edgar Morin ايدغر موران" فيتناول مفهوم الشباب بمحاولة ربطه بالثقافة –ثقافة الشباب– وكيف أنها يمكن أن توجه الثقافة الجماهيرية من خلال إنعاشها، لذلك يجب أن نفكر في الشباب كفئة اجتماعية، أي كمجموعة اجتماعية تتمتع بوحدة معينة من التمثلات والمواقف المتعلقة بالعمر. (Morin, 1962, p203)

من خلال هذه التعريفات المختلفة من قبل علماء الاجتماع في تحديدهم لمفهوم الشباب نخلص إلى انه ليس من السهل الحديث عن الشباب باعتبارها فئة أو مجموعة اجتماعية، فكيف نتحدث عن مجموعة اجتماعية محددة، في حين أن عضوية المجموعة العمرية سريعة الزوال، كما أن مفهوم العمر يختلف من فترة إلى أخرى ومن مجتمع لآخر، من فضاء اجتماعي لآخر لذلك تختلف الحدود التي تفصل مرحلة

البلوغ عند الشباب في الزمان والمكان والمساحة الاجتماعية، فمفهوم "الشباب" هو بالفعل مشكلة بالنسبة لعلماء الاجتماع.

وحتى يكون مفهوم الشباب أكثر ملامسة للواقع الجزائري نتبنى خلال هذا المقال تحديدا لماهيته بأنه: "تلك الفئة والمجموعة الاجتماعية التي تتراوح أعمارها مابين 15–40 سنة، والتي تمتلك علامات النضج البيولوجي والنفسي والاجتماعي، وتكون أكثر عرضة لقبول وشرعنة سلوكات العنف داخل المجتمع الجزائري أكثر من غيرها من الفئات الاجتماعية الأخرى.

3. مداخل تفسير سلوك العنف:

إن التراث الفكري المتداول حول ظاهرة العنف يشير إلى ثلاثة اتجاهات في تفسير السلوك العنيف فالاتجاه الأول قانونيا.. يعده الاستعمال غير القانوني لوسائل القسر المادي و البدني ابتغاء تحقيق غايات شخصية أو اجتماعية، إذا فالعنف قانونيا يعني استخدام الضغط أو القوة استخدام غير مشروع أو غير مطابق للقانون من شانه التأثير على إرادة فرد ما.

والاتجاه الثاني اجتماعي .. يعده سلوك أو فعل يتسم بالعدوانية، يصدر عن طرف قد يكون فردا أو جماعة أو طبقة اجتماعية أو دولة، بهدف استغلال أو إخضاع طرف آخر في إطار علاقة قوة غير متكافئة مما يتسبب في إحداث أضرار مادية أو معنوية أو نفسية لفرد أو جماعة أو طبقة اجتماعية .

وعلى هذا فالعنف من المنظور الاجتماعي يعني خللا وظيفيا في توازن العلاقات الاجتماعية بين الأفراد ينتج من اعتبارات اجتماعية سائدة في المجتمع فيؤدي إلى فرد على أخر(الشربيني،2000، ص 67)

والاتجاه الثالث نفسيا.. يعده نمط من أنماط السلوك ينبع عن حالة من الإحباط نتيجة لصراعات نفسية لا شعورية تنتاب الفرد وتعيقه عن تحقيق أهدافه ولذلك هو يلجا إلى العنف النفسي عن قوى الإحباط الكامنة.

بينما يؤكد " فرويد FREUD " أن العنف خاصية تمتد جذورها إلى الطبيعة البشرية، وهي بذلك موجودة في وضع كمون وتتار إذا اعترض نشاط الفرد، وعلى ذلك فالعنف استجابة طبيعية كغيرها من الاستجابات الطبيعية للفرد (السمري،2001، ص 106)

4. المقاربات المفسرة لظاهرة العنف:

تعددت المقاربات التي حاولت تقديم تفسير للسلوك العنيف، تبعا لخلفيتها النظرية التي تؤمن بها وتسوقها، حيث نجد هذه المقاربات امتدت بدءا بالنفسية مرورا وصولا إلى المقاربة الاجتماعية، وهما المقاربتين الأكثر تفسيرا وتحليلا لظاهرة العنف لدى الشباب في المجتمع الجزائري .

1.4 **المقاربة النفسية:** إن رواد المدرسة النفسية حاولوا أن يثبتوا العلاقة بين تكوين الفرد النفسي كالاضطرابات النفسية وعلاقتها بالسلوك العنيف، وفيما يلي أهم هذه النظريات:

أ- **نظرية التحليل النفسي:** أكد كثير من علماء النفس على أثر الغرائز والعواطف والاختلالات التي تحدث داخل الإنسان في بروز السلوكيات الشاذة المنحرفة، فضلا عن العقد النفسية المختلفة وأثرها في ذلك (عوض،2001، ص57)

وقد فسرت هذه النظرية السلوك العنيف على أنه سلوك فردي لهدف إلى إبعاد الألم والحصول على اللذة أو الدفاع عن الذات حتى وإن كان على حساب الآخرين، وهذه مرتبطة باستعداد فطري غريزي يولد مع الفرد ويتشذب اجتماعيا، وقد أسهم فرويد في كتابه (خلل الحضارة) أكثر من سواه في وضع وجهة النظر هذه عن طريق تفسير التكوين النفسي للفرد من خلال :

- **الغرائز:** أشياء داخلي في نفس الإنسان تشتمل على كثير من الجوانب مثل الميول، والاتجاهات والأفكار، وهذه الغريزة قد تشارك من قبل انفعالات واضطرابات يواجهها الفرد في حياته وفي تعامله وتفاعله مع غيره، سواء كانت هذه الاضطرابات ذات منشأ داخلي في الفرد أو بسبب تأثير وإحباطات البيئة الخارجية.

وقد افترض فرويد غريزتين أساسيتين:

الأولى: غريزة ايروس ويمكن تسميتها بغريزة الحياة التي تتضمن مجموعة من القوى الحيوية والدوافع الغريزية التي تهدف للحصول على اللذة الجنسية وحفظ النوع.

الثانية: غريزة الهدم أو الموت أو تفكيك الارتباطات ومن ثم هدم الأشياء (و يصدر عن تفاعل هاتين الغريزتين جميع مظاهر الحياة) وترتبط غريزة الهدم هذه بالعدوانية والعنف.

- العواطف: تأتي بعد الغرائز كجزء من التكوين النفسي من شخصية الفرد لأنها تؤثر في نمط السلوك الإنساني في المواقف المختلفة التي يتعرض لها.

إن الإنسان حينما يتعرض لبعض المواقف والاضطرابات فإن العواطف الداخلية تثار لديه بسبب ما يتعرض له من مواقف لدى فإنه يلجأ إلى إتباع السلوك العنيف كأحد أنماط السلوك الإنساني تجاه هذا الموقف متخطيا بذلك هذه الاستثارة وهذا العائق.

- العقد النفسية: تمثل جزء من التكوين النفسي لشخصية الفرد، وتمثل كل ما تميز به من ذكريات وأحوال تشكل لدى الفرد عقد نفسية في داخله، يتولد من هذه العقد أنماط سلوكية معينة كالسلوك الشاذ ومنها السلوك العنيف والذي يعد أحد الأنماط السلوكية.

و من بلين هذه العقد التي تؤثر على سلوك الفرد حسب "BOTOL ":

- عقدة إبراهم: تشير إلى الصراع بين الأجيال والتي تعبر عن خوف الآباء من جحود أبنائهم.

- عقدة ديموقليس: التي تمثل تماما ميولنا الفطري، ويكون نتاجها النهائي تنمية روح العدوان الجماعي والفردي، إذ أن عقدة ديموقليس: هي تنمية الإحساس بعدم الأمن والتهديد الماثل دائما.
- عقدة كبش الفداء: وهي التركيز على عدو معين داخلي أو خارجي ننقل إليه إثمنا ونسقط عليه كل غضبنا الداخلي (عياش،2004، ص 80)

ب- النظرية المعرفية- البنيوية : إن أكثر من تحدث عن ظاهرة العنف من أصحاب المدرسة المعرفية هما ليفين Lewin وفايكوتسكي vaygotsky ورغم اختلاف منطلقاتهم الفكرية إلا أن "ليفين" يرى في العدوان سلوك إقدام اجتماعي يلجأ إليه الفرد أو الجماعة إذا لم يتمكنوا من تحقيق أهدافهم بصورة عقلانية، وحينما يدركوا أن الحراك الاجتماعي الهائج سيحقق الهدف وعلى الأقل يحقق النتائج أفضل من حالة الركود.

أما تفسير فايكوتسكي فيرى أن الصراع بكل أشكاله كان تاريخيا، وهو المحرك الأساسي لعملية التغيير (سواء كان هذا التغيير سلبي أو إيجابي) (خالد، والزندة، 2006، ص23)

ومن بين هذه التغيرات التي تحدث في المجتمع هو تغيير (اقتصادي، سياسي، وثقافي) لدى سنحاول أن نتابع علاقة التغيير في المجتمع في مجالاته المختلفة وتأثيره في حدوث سلوك العنف عند الأفراد خاصة الشباب، ومن بين هذه التغيرات:

- **التغيرات السياسية:** قد يقر النظام السياسي تقسيما طبقيا في المجتمع أو تقسيما عرقيا محددا بحيث يترتب على هذا التقسيم تحيزا وتمييز بين أبناء المجتمع تحرم فيه فئات اجتماعية من الحقوق والامتيازات التي قد يتمتع بها غيرها بما ينتهي بظهور بناء طبقي غير متكافئ في المجتمع ومثل هذا البناء يعد أحد مسببات العنف فأولئك المحرومون من حقوقهم قد لا يجدون مفرا من استخدام العنف الجماعي للحصول على بعض ما يعتقدون أنه حق لهم ويقدم الواقع بعض الأمثلة التي تؤكد هذا التفسير للعنف.

- **التغيرات الاقتصادية:** كشفت البحوث والدراسات على وجود علاقة تربط بين العوامل والتغيرات الاقتصادية والعنف، فالجرائم الخطيرة كالسرقة والقتل والخطف تتجه اتجاها طفيفا غير ثابت نحو الارتفاع في فترات الانكماش الاقتصادي.

- **التغيرات الثقافية:** كشفت العديد من البحوث والدراسات على أنه ثمة علاقة بين العنف والتغير في مكونات الثقافة المادية مثل (المهن، الموارد الطبيعية، طبيعة السكن، وكل الأشياء التي يستخدمها الإنسان للتوافق مع البيئة)، أو العناصر الغير مادية مثل (العادات والتقاليد والفن والأخلاق، العرف والقانون والمعتقدات واللغة والمعايير والقيم والاتجاهات والسمات الثقافية الغير ملموسة).

جـ- نظرية العدوى (السلوك الجمعي): يعد لوبون مؤسس هذه النظرية وهي أقدم النظريات التي فسرت الثورة الفرنسية على أنها ثورة عقل شعبي الذي يتصف بغياب الوعي المدرك ويقول "قد يكون الفرد إنسانا مثقفا ومتحضرا ولكنه وسط الجموع يصبح بربريا" وأنه هناك عدد من العمليات النفسية التي تأخذ مجراها عند تشكل الجمع وتؤثر على سلوك الفرد وهي:

- **تقبل الإيحاء Suggestibilité** : إن غياب الصيغ النظمية والقيادة للجماعة تبدأ كل مجموعة تتصرف كما يحلو لها فتتراجع الشخصية الواعية ويتولى اللاوعي الجمعي توجيه السلوك.
- **العدوى الاجتماعية Social contagion** : تشير الدراسات إلى وجود ظاهرة نفسية جمعية، إذ يؤثر البعض على باقي الأفراد أثناء وجودهم في الجماعة، فتندفع إلى السلوك بالتجاه الذي يوحي إليها به حين يكون ذلك الاتجاه متسقا مع دوافعها.
- **مجهولية الاسم Anonymity:** إن نزوع الجماعة إلى القيام بالعنف والعدوان يكون على أشده إذا كان الفرد ملثما أو بين أشخاص لا يعرفونه، وكلما شعر الفرد أنه غير معروف زادت حدة غوغائيته (عياش،2004، ص 96)

د- النظرية الشمولية: ينطلق هذا الاتجاه من رفض التغيرات الأحادية التي تعتمد على الفرد وتهمل باقي الظروف المحيطة به، ومن أنصار هذه النظرية باسكالي وتولوش إذ يرون أن دراسة الإنسان وسلوكه تقتضي النظر إلى الإنسان ككائن عضوي كلي ذا أبعاد خمسة (بيولوجية، نفسية، معرفية، أنتروبولوجية، اجتماعية).

ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن السلوك العنيف ما هو إلا محصلة هذه العوامل، ويستندون في تفسيرهم للسلوك الإنساني السليم والمنجرة على السمات الآتية:

- **الشمولية:** بمعنى النظر إلى السلوك العنيف بصورة شمولية، الفعل والفاعل.
- **عدم الارتباط:** تحاول هذه المقاربة على الجمع بين جميع الاختصاصات التي عالجت الجريمة والسلوكيات المنحرفة المتمثلة في العنف، واخذ أنسب هذه التغيرات المقدمة من مختلف الاختصاصات والنظريات والاتجاهات العلمية المختلفة.
- **تعدد العوامل:** فالعنف أو السلوكيات المنحرفة لا تفسر بعامل واحد بل بمجموعة من العوامل.

2.4 المقاربة الاجتماعية: تكاد التفسيرات الاجتماعية للعنف تنجو من الخلط بين العنف والجريمة، إذ لا يخلط التفسير الاجتماعي للعنف بين هذه الظاهرة والجريمة، إن مراجعة التراث تكشف أن هناك عددا من التفسيرات الاجتماعية لظاهرة العنف ورغم تداخل هذه التفسيرات في بعض جوانبها إذ أنه يمكن نضيف الاتجاهات الاجتماعية المفسرة للعنف حسب السمة الغالبة(الطيار،2005، ص76)

وما يهمنا هنا هو التفسير الاجتماعي للعنف، حيث أننا نستطيع أن نركز على العناصر التالية:

– **التنشئة الاجتماعية ونمط التربية وتفسير العنف:** عند مراجعة الطرق التي تسهم بها التنشئة الاجتماعية وعمليات التربية في إيجاد العنف، نجد أن هناك عدة طرق تسهم بها التنشئة والتربية في ظهور العنف بالمجتمع، ومن تلك الطرق ما يلي:

– العنف الأسري وعلاقته في صناعة العنف.

– نظام التربية وعلاقته في صناعة العنف.

– **التغير الاجتماعي وتفسير العنف (التغير في نظم المجتمع):** يرى بعض الباحثين أن التغير الاجتماعي من الأسباب التي تؤدي إلى بروز ظاهرة العنف وذلك من خلال كون العنف وسيلة لإحداث التغيير الاجتماعي، فتلجأ بعض فئات المجتمع خاصة الشباب لإحداث ما يسمى بالتغيير الاجتماعي وذلك من خلال ممارسة بعض الظواهر كظاهرة العنف (غانم، 2004، ص107)

5. العنف لدى الشباب الجزائري حصيلة إفرازات نفسية ومحيط مضطرب : إن العنف بكل مستوياته وأشكاله ليس وليد الصدفة أو الفضاء المجرد، وإنما هو نتاج عوامل وأسباب عديدة، من أهم العوامل والأسباب التي تؤدي إلى نشوء ظاهرة العنف لدى الشباب الجزائري وبروزها في الفضاء الاجتماعي والسياسي هي:

1.5 العوامل الدينية– الثقافية:

إن مشهد العنف المعاصر في فضاء المجتمع الجزائري تقوده جماعات وتنظيمات تنتسب إلى الإسلام وترفعه شعاراً ومشروعاً لأجندتها وأهدافها، وحين التأمل العميق في هذه الظاهرة، نكتشف أن القراءة الدينية أو الفهم الديني لهذه الجماعات، هو عامل من عوامل جنوح هؤلاء إلى الأخذ بأسلوب العنف،و(ليس معنى هذا– ولا ينبغي أن يفهم منه– أن العنف يجد جذوره أو مرجعه في العقيدة الإسلامية على نحو ما يذهب إلى ذلك كثيرون! بل معناه أنَّ نسق القيم المتشبع بالدين –لدى الشباب الجزائري– يجد نفسه أحياناً في صراع مع منظومات جديدة من القيم، ويجد عسراً في التكيف معها فيرجم قسم من المجتمع بالبدعة والانحراف عن محجة النظام الديني والأخلاقي، فيما يجنح بعض منهم إلى انتداب النفس لدور رسولي، فتراه يكفر المجتمع الجاهلي الجديد، بعد تكفيره للدولة، وينصرف إلى إنفاذ الأمر الإلهي بوجوب إقامة الحد على الضلال وتحديداً من عتبته القصية: الجهاد، ومع أنه لم يحصل أن وقع –أو انعقد– إجماع بين سائر الإسلاميين العرب على وجوب النهوض بـ (الفريضة الغائبة) أي الجهاد ضد الدولة والمجتمع، بل على الرغم من تصدى مثقفين إسلاميين وعلماء دين كبار لمهمة دحض دعوى الجهاد ضد المسلمين تحت أي ظرف، واعتبارها شططاً وغلواء في النظر إلى الدين واستقراء أحكامه، إلا أن ذلك لم يغير من الحقيقة شيئاً.. والحقيقة هي أن دم الناس يسفك يومياً بفتاوى رجال يشك في مدى حجيتهم الدينية، وفي أن الذي أرادوه جهاداً بات ينذر بالصيرورة فتنة) .

وليس من شك أن هذه الرؤية المتطرفة تتغذى من طبيعة الاختيارات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية السائدة في المجتمع الجزائري.

هذه الاختيارات التي تركت تأثيراتها العميقة في المجتمع الجزائري على المستويات النفسية والاجتماعية والثقافية، مما دفع البعض إلى الانكفاء والعزلة وبناء جزر اجتماعية معزولة عن الفضاء العام، وكانت هذه الجزر وهذه العزلة تتغذى باستمرار من رؤية دينية ضيقة تسوِّغ هذا الخيار، وهذه الممارسة، وتشرع لعملية الرفض بكل صوره للواقع القائم بكل خياراته ووقائعه.

من هنا لا علاقة للدين بالأمر إلا من حيث هو نصوص ووقائع قابلة للتأويل، أما إذا كان ثمة خلل فالبحث فيه ينبغي أن ينصرف إلى صاحب التأويل، وإلى ظروف هذا التأويل، والذي يزيد من تعميق هذا الخلل في المجتمع الجزائري بكل مستوياته، هو طبيعة الثقافة السائدة وخياراتها العامة؛ حيث إنها ثقافة ترفض التعددية وحق الاختلاف، وتكتفي من التقدم الإنساني والحداثة بالقشور، فيما تنغمس في إقامة أمر المجتمعات العربية على مقتضى قواعد الاختزال والاستبداد.

فالمجتمع الجزائري ليس فريد من نوعه من حيث تركيبته الاجتماعية والثقافية ومن حيث التنوع والتعدد ولكن ما يميز هذا المجتمع عن سواه هو أن هذه التراكيب الاجتماعية المتنوعة حافظت من الداخل على انغلاقيته وانكفائه، فحدَّت بذلك من إمكانات التفاعل والتعايش، فالثقافة التي تغذي هذه الخيارات التي تمارس المفاصلة، وتشرع للانكفاء، هي من البيئات الخصبة لتبلور خيار الإقصاء والعنف.

وعليه؛ فإن من الأسباب الأساسية لبروز ظاهرة العنف في المجتمع الجزائري، هو طبيعة الرؤية الدينية التي تنظر إلى الواقع والراهن برؤية تشاؤمية، سوداوية، وترفض التنوع، وتحارب الانفتاح والتقدم، وترى نفسها هي القابضة وحدها على الحق والحقيقة، إن هذه الرؤية التي لا ترى إلا نفسها قابضة على الحقيقة تختزن إمكانية هائلة لممارسة النبذ والإقصاء والعنف تجاه المختلف والمغاير، سواء كان هذا فرداً أو جماعة.

فالجماعات الدينية التي كفرت الدولة والمجتمع، وحاربت الجميع بحجة أنهم جميعاً خرجوا عن مقتضيات الصراط المستقيم، هي جماعات تحمل رؤية أحادية وضيقة للمجتمع والحياة بكل حقائقها ووقائعها، هذه الرؤية هي التي تقود هذه الجماعات عبر متواليات نفسية وعقدية لممارسة العنف والنبذ تجاه الآخرين، كما أن الثقافة السياسية والاجتماعية، التي تنبذ حق الاختلاف، وتحارب التنوع، وتؤلِّه القوة بعيداً عن مقتضيات الحق، هي أيضاً بيئة خصبة لإنتاج ظاهرة العنف في المجتمع الجزائري .

من هنا، فإننا نصل إلى حقيقة أساسية، وهي: أن الرؤية الدينية المتعصبة لذاتها وقناعاتها التي تلغي ما عداها، هي رؤية حاضنة بالضرورة لخيار النبذ والعنف، كما أن الثقافة التي تنتج الإقصاء

الاجتماعي والنبذ الثقافي، والمفاصلة الشعورية بين المختلفين والمغايرين، هي ثقافة مولِّدة لظاهرة العنف.

وعليه، فإن السبب الأول لبروز ظاهرة العنف في المجتمع الجزائري ، هو السبب الديني– الثقافي، حيث يتداخل التعصب الديني الأعمى مع الجمود الثقافي والجفاف الفكري، بمقولات الجهاد، وتوظيف النصوص الدينية لنوازع سياسية وسلطوية وعنيفة، وهذا التداخل والتوظيف يستمد باستمرار دينامكيته من حالة ثقافية ونفسية تحارب التنوع والتعدد، ولا تعترف بالآخر وجوداً ورأياً وحقوقاً، ولا ترى إلا طريق القوة وممارسة العنف لنيل أهدافها وتحقيق طموحاتها وتطلعاتها، وما حدث خلال العشرية السوداء إلا خير مثال على ذلك.

2.5 العوامل السياسية:

عديدة هي المؤشرات والحقائق التي تؤكد أن المشهد السياسي الجزائري يعيش الكثير من المشكلات البنيوية والهيكلية، التي لا تؤثر على راهن الشباب الجزائري فحسب، بل على مستقبلهم ومكاسبهم الحضارية.

وبسبب هذه الأزمات والمشكلات البنيوية التي يعانيها المشهد السياسي، تعمل الكثير من النظم والمؤسسات على ممارسة أنواع العنف كلها لتجاوز نقاط الضعف البنيوية، وبدلا من أن تبحث هذه المؤسسات عن حلول حقيقية وواقعية لهذه الأزمات، فإن استخدامها للعنف يفاقم من المشكلة، ويوفر لها المزيد من أسباب وعوامل الحياة (ومن الطبيعي تماماً أن ينتهي إقفال الحقل السياسي أمام المجتمع، بإعمال القمع وتقييد الحريات وهضمها، إلى دفع هذا المجتمع إلى سلوك مسارب أخرى للتعبير عن مصالحه وحقوقه، وإلى ممارسة الاحتجاج على التسلط الدولتي المتغوِّل، أي على العنف الرسمي بعنف مضاد، قد يستعيد فيه المجتمع مخزونه الرمزي وتقاليد المقاومة لديه– وقد جربها حديثاً مع الاحتلال– لتحصيل حقوقه وينبغي أن ندرك تماماً معنى أن يشعر قسم من المجتمع بالغبن والاضطهاد، ويفقد الثقة في العملية السياسية برمتها، وفي مدونة النزاعات والمنافسات السلمية، وخصوصاً حينما يكون مرجعه الثقافي عسير الانفتاح على منظومة السياسة الحديثة) فرؤية متزنة وواعية ورشيدة للكثير من نماذج العنف في فضاء المجتمع الجزائري تجعلنا نعتقد أن هناك أسباباً سياسية مباشرة لبروز هذه الظاهرة.

وهذا بطبيعة الحال لا يسوِّغ ممارسة العنف، ولكننا بحاجة إلى تحديد دقيق لأسباب هذه الظاهرة، ولا شك أن انعدام الحياة السياسية الوطنية السليمة، وغياب أطر ومؤسسات المشاركة الشعبية في الشأن العام، ولَّد مناخاً اجتماعياً وثقافياً وسياسياً يزيد من فرص الانفجار الاجتماعي، ويساهم في إقناع العديد من أفراد القطاعات الاجتماعية المختلفة بخيار العنف، وهذا يقود إلى حقيقة أساسية من المهم التنبه لها

دائماً؛ وهي: أن العنف أداة يستعين بها القاهرون والمقهورون، وإنْ كان ذلك بمقادير مختلفة ولغايات متباينة.

ولا ريب أن وجود توترات ظاهرة أو كامنة بين الدولة والمجتمع، يساهم عبر تأثيراته ومولداته في بروز ظاهرة العنف، وتجارب الحروب الأهلية المؤلمة التي جرت في بعض البلدان العربية تؤكد بشكل لا لبس فيه أن تناقض الخيارات الكبرى بين السلطة والمجتمع يقود في المحصلة النهائية لنشوء ظاهرة العنف وبروزها.

وقد عبَّر هذا التناقض والتدهور عن أعلى تجلياته المادية، في انفلات غرائز العدوان المتبادل بين مكونات الحقل السياسي في مشاهد متلاحقة من العنف والإقصاء المتبادل، إلى درجة باتت فيها العملية السياسية عاجزة– أو تكاد– عن أن تعبر عن نفسها في صورة طبيعية، أي كفعالية تنافسية سلمية، وإلى الحد الذي كاد فيه العنف– المادي والرمزي– أن يتحول إلى اللغة الوحيدة التي يترجم بها الجميع مطالبه ضد الجميع. (وعلم الاجتماع السياسي المعاصر يفرّق اليوم بين الدولة القمعية، ويرى أن الدولة التي تلتحم في خياراتها ومشروعاتها مع مجتمعها وشعبها هي الدولة القوية، حتى لو لم تمتلك موارد طبيعية هائلة.

فالدولة القوية حقاً هي التي تكون مؤسسة للإجماع الوطني وأداة تنفيذه، وتنبثق خياراتها وإرادتها السياسية من إرادة الشعب وخياراته العليا.

ولا ريب أن الدولة القمعية– بتداعياتها ومتوالياتها النفسية والسياسية والاجتماعية– هي من الأسباب الرئيسة في إخفاق المجتمعات العربية والإسلامية في مشروعات نهضتها وتقدمها؛ لأنها تحولت إلى وعاء كبير لاستهلاك مقدرات الأمة وإمكاناتها في قضايا غير مهمة، ومارست التعسف والقهر لمنع بناء ذاتية وطنية مستقلة) فالإخفاق السياسي– سواء على صعيد مؤسسة الدولة أو مؤسسات المجتمع– دفع باتجاه النزوع إلى التعبير عن الأهداف والغايات والمصالح بالعنف المادي والرمزي؛ بحيث إن غياب العلاقة السوية والعميقة بين السلطة والمجتمع دفع الأولى في المجتمع الجزائري إلى تبني خيارات ومشروعات فوقية – قسرية، وبفعل ذلك لجأت السلطة إلى أدوات العنف لتسيير مشروعاتها وإنجاح خططها الاجتماعية والاقتصادية، وفي المقابل فإن المجتمع في ظل هذه الظروف يعبر عن نفسه وخياراته بامتلاك أدوات العنف واستخدامها.

فيتحول الفضاء السياسي والاجتماعي، من جراء هذا التوتر والتباين، إلى وعاء للعديد من النزاعات المجردة من القيم الإنسانية والأخلاقية، واللاهثة صوب مصالح آنية وضيقة، وفي أحشاء هذا التوتر تترعرع مشاريع العنف والإقصاء، وتتسع دائرة التناقض والتصادم، وتزيد فرص الانتقام وممارسة العنف بحق الآخر.

وهكذا نصل إلى مسألة أساسية؛ وهي: أن أحد الأسباب الرئيسة لبروز ظاهرة العنف، هو غياب حياة سياسية سليمة ومدنية، لذلك من الأهمية بمكان أن نرفض الاستئثار والتوحش في السياسة مهما كانت الإيديولوجية التي تسوغ له ذلك ونقف ضد التنابذ والإقصاء مهما كان الفكر الذي يقف وراءه، وإن النهج السياسي المعتدل، الذي يتعاطى مع الأمور والقضايا والحقائق السياسية والاجتماعية بعقلية منفتحة ومتسامحة، هو القادر على ضبط نزعات العنف، وهو المؤهل لمراكمة الفعل السياسي الراشد في المجتمع.

3.5 العوامل الاقتصادية– الاجتماعية:

لو تأملنا في وقائع العنف في المجتمع الجزائري لاكتشفنا ودون عناء وصعوبة، أن إخفاقات التنمية والتفاوت الصارخ في مستويات المعيشة والبطالة وتدني مستويات الحياة والعيش الكريم، من الحقائق التي تساهم في بروز ظاهرة العنف لدى الشباب في المجتمع الجزائري.

لذلك نلحظ بوضوح وفي العديد من مناطق المجتمع الجزائري، أن القاعدة الاجتماعية التي تعتمد عليها جماعات العنف وتوفر لها الكادر البشري والحماية، هي مدن الصفيح وأحزمة البؤس التي تضرب طوقاً رمزياً ومادياً على كبريات المدن الجزائرية فلا يمكن أن نغفل الأسباب الاقتصادية والعوامل الاجتماعية في بروز ظاهرة العنف؛ وذلك لأن (آليات العنف تتحرك صعوداً وتصعيداً بالتناسب مع هبوط مؤشرات التنمية وتدهور معدلات التوازن في توزيع الثروة! وربّ قائل: إن هذا اللون من ينظر إلى الموضوع: موضوع العنف السياسي، يجنح نحو الأخذ بقراءة اقتصادية، بدليل أن ظاهرة العنف هذه ليست عامة في مجموع المناطق، على الرغم من أنها تعيش جميعها –ومن دون استثناء– الوضع ذاته: حيث عمّ الخراب عمرانها الاقتصادي، وأودى بتوازنها المالي، وعلى هذا الاعتراض نكتفي بالرد التالي: إن البنية التحتية للعنف قائمة في معظم البلاد –على ما فيها من تفاوت درجي– لكن صيرورته ظاهرة مادية يومية رهن بتوافر بنية فوقية هي إيديولوجيا العنف، ونعني بها –على وجه التحديد– الإيديولوجية السياسية التي تسوِّغ لجماعة من الناس أهدافاً لحراكهم الاجتماعي، وتنتج لهم أطراً لتعبئة الطاقة الاجتماعية، والتعبير عنها وهو ما ينطبق أمره على أي مشروع سياسي آخر يحتاج كي ينتقل من القوة إلى الفعل، بلغة أرسطو، أو من الفكرة إلى الواقع، بلغة ماركس، إلى توافر درجة ما من التناسب والتوافق بين الشروط الموضوعية والشروط الذاتية، وعلى ذلك فإن في جوف كل مجتمع عربي عنفاً أو شكلاً من العنف: أما جارياً أو مؤجلاً، طالما كان ثمة، في القاع الاجتماعي – الاقتصادي، ما يهيئ له المناخ والأسباب) .

فالتدهور الاقتصادي يقود إلى تصدعات اجتماعية خطيرة، وبدورها (التصدعات الاجتماعية)، توفر كل مستلزمات بروز ظاهرة العنف في الفضاء الاجتماعي، فليس مستغرباً أن تتحول حالات التهميش

الاقتصادي إلى قنبلة قابلة للانفجار، فماذا ننتظر من ذلك الإنسان الذي لا يملك أدنى ضرورات حياته، ويفتقد إلى نظام الرعاية والحماية الاجتماعية، ودولاب الحياة المتسارع يزيد من ضنكه وصعوباته.

فالمجتمعات المهمشة التي تعيش الضنك في كل مراحل حياتها، هي مجتمعات مريضة؛ لأنها ببساطة لا تحيى حياة طبيعية والمجتمع الذي تعيشه سلوكه العام مضطرب، تغشاه الأزمات الفجائية في كل مجال، تتفجر أحداثه العامة بشكل هبَّات وانحرافات جماعية، ولا يبقى له وسيلة للتعبير عن معاناته إلا باستعارة أساليب القمع الممارسة ضده ذاتها، إنه المجتمع المرشح للعنف بكافة أشكاله وأدواته، والمتقبل لكل الأفكار والإيديولوجيات التي تخاطب جمهور المحرومين والمقموعين فالفقر لا يقود إلى الاستقرار، والبطالة لا تؤدي إلى الأمن، بل إنهما الأرضية الاقتصادية الاجتماعية لبروز حالات التمرد والعنف.

عوامل العنف لدى الشباب الجزائري:

العوامل النفسية:

- الشعور المتزايد بالإحباط.
- ضعف الثقة بالذات.
- طبيعة مرحلة المراهقة والبلوغ.
- الاعتزاز بالشخصية وقد يكون ذلك على حساب الغير.
- الاضطراب النفسي والانفعالي وضعف الاستجابة للقيم و المعايير.
- تمرد المراهق(الشباب) على طبيعة حياته في الأسرة و المدرسة.
- الميل إلى الانتماء إلى الجماعات الفرعية.
- عدم القدرة على مواجهة المشكلات .
- الانتقام بدافع الغيرة، الغرور.
- الشعور بالنقص الجماعي أو النفسي.

العوامل الاجتماعية:

- وجود وقت فراغ كبير وعدم استثماره ايجابيا .
- ضعف الضبط الاجتماعي.
- ضعف التشريعات و القوانين المجتمعية .
- انتشار أفلام العنف.
- عدم وضوح المعايير .
- الخلافات الزوجية و الصراع بين الزوجين.
- ارتفاع عدد أفراد الأسرة في المنزل الواحد(الأسرة الممتدة) .
- إقامة كافة أفراد الأسرة صغارا و كبارا في غرفة واحدة .
- صراع الأدوار الاجتماعية والنموذج الأبوي المتسلط.
- المعاملة التمييزية ضمن الأسرة .
- التنشئة الاجتماعية النمطية للذكور والإناث.
- التفكك الأسري.
- التدليل الزائد من الوالدين.
- القسوة الزائدة من الوالدين .

المصدر: إعداد الباحث.

خاتمة:

لقد حاولنا من خلال هذا المقال إبراز دور كل من العامل النفسي والاجتماعي في صناعة العنف لدى الشباب الجزائري، متطرقين لجملة من العناصر بدءا بماهية العنف والشباب، واهم المداخل والمقاربات التي تناولته والتي ركزنا من خلالها على المقاربة النفسية والاجتماعية باعتبارهما إطارا يمكن من خلاله تفسير سلوك العنف من منظور كلي وشامل .

وتوصلنا في الأخير أن العنف ظاهرة نشأت عن اجتماع جملة من العناصر والعوامل، وتضافرت على النحو الذي لا يمكن إرجاع هذه الظاهرة إلى سبب أو عامل واحد دون سواه، فالعنف في المجتمع الجزائري المعاصر نابع من ترسبات تاريخية ونفسية واجتماعية متعددة، ولا يمكن فهم هذه الظاهرة إلا ضمن شبكة العوامل والأسباب التي أفضت إلى بروزها وأدت إلى ظهورها.

قائمة المراجع :

أولا – المراجع باللغة العربية:

– ابن منظور .(1985).لسان العرب،القاهرة: دار المعارف.

– بن دريدي، فوزي احمد.(2007).العنف لدى التلاميذ في المدارس الثانوية الجزائرية، المملكة العربية السعودية:منشورات جامعة نايف للعلوم الأمنية.

– خالد، وليد، والزندة، محمد.(2006).العنف الطلابي في المرحلة الجامعية الأسباب والحلول، عمّان:منشورات جامعة مؤتة.

– الرازي، محمد بن بكر .(1981). مختار الصحاح، بيروت:مطبعة دار الشباب العربي.

– السمري،عدلي.(2001).العنف في الأسرة تأديب مشروع أم انتهاك محضور، الإسكندرية: دار المعارف.

– سموك،علي.(2006).اشكالية العنف في المجتمع الجزائري من اجل مقاربة سوسيولوجية،عنابة: منشورات مخبر الجريمة والانحراف في المجتمع.

– الشربيني، منصور عبد المجيد.(2000).الأسرة على مشارف القرن 21، القاهرة:دار الفكر العربي.

– الشهري، عبد الرحمان.(2003).العنف في المدرسة الثانوية من وجهة نظر المعلمين والطلبة،المملكة العربية السعودية:منشورات جامعة نايف للعلوم الأمنية.

– الطيار، فهد علي عبد العزيز .(2005).العوامل الاجتماعية المؤدية للعنف لدى طلاب المرحلة الثانوية ،المملكة العربية السعودية:منشورات جامعة نايف للعلوم الأمنية.

– عوض، السيد.(2001).الجريمة في مجتمع متغير، الإسكندرية:المكتبة المصرية.

- عياش، ليث محمد.(2004).سلوك العنف وعلاقته بالشعور بالندم،ط1،عمّان:دار صفاء للنشر والتوزيع.
- غانم، عبد الله.(2004).جرائم العنف وسبل المواجهة،المملكة العربية السعودية:منشورات جامعة نايف للعلوم الأمنية.
- فرج، عبد القادر طه، وآخرون.دس.معجم علم النفس والتحليل النفسي،ط1، بيروت: دار النهضة العربية.
- لزرق، عزيز، والهلالي، محمد.(2009).العنف،ط1، المغرب: دار توبقال للنشر والتوزيع.
- يحي، خوله احمد.(2000).الاضطرابات السلوكية والانفعالية،ط1،عمّان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

ثانيا – المراجع باللغة الأجنبية:

- Morin, Edgar.(1962).Jeunesse, Paris: L'Esprit du temps.
- Durkheim, Émile.(1985).Éducation et sociologie,Paris.
- Parsons,Talcott.(1995).Âge et sexe dans la société américaine-Éléments pour une sociologie de l'action-, Paris.